

الكشاف

1147 - كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله ﷺ ثم يرفع حديثه إلى اليهود فبينما رسول الله ﷺ في حجرة من حجره إذ قال لأصحابه : يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل ابن نبتل وكان أزرق فقال له النبي ﷺ : " علام تشتمني أنت وأصحابك " ؟ فحلف بالله ما فعل فقال عليه السلام : " فعلت " فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سيوه فنزلت " عذابا شديدا " نوعا من العذاب متفاقما " إنهم ساء ما كانوا يعملون " يعني أنهم كانوا في الزمان الماضي المتطاوّل على سوء العمل مصرين عليه . أو هي حكاية ما يقال لهم في الآخرة . وقرئ : " إيمانهم " بالكسر أي : اتخذوا إيمانهم التي حلفوا بها . أو إيمانهم الذي أظهروه " جنة " أي ستره يتسترون بها من المؤمنين ومن قتلهم " فصدوا " الناس في خلال أمنهم وسلامتهم " عن سبيل الله ﷻ " وكانوا يثبطون من لقوا عن الدخول في الإسلام ويضعفون أمر المسلمين عندهم . وإنما وعدهم الله العذاب المهين المخزي لكفرهم وصدّهم كقوله تعالى : " الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب " النحل : 88 . " من الله ﷻ من عذاب الله ﷻ " شيئا " قليلا من الإغناء . وروي أن رجلا منهم قال : لننرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا " فيحلفون " الله تعالى على أنهم مسلمون في الآخرة " كما يحلفون لكم " في الدنيا على ذلك " ويحسبون أنهم على شيء " من النفع يعني : ليس العجب من حلفهم لكم فإنكم بشر تخفى عليكم السرائر وأن لهم نفعاً في ذلك دفعاً عن أرواحهم واستجرار فوائد دنيوية وأنهم يفعلونه في دار لا يضطرون فيها إلى علم ما يوعدون ولكن العجب من حلفهم في عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار إلى علم ما أنذرتهم الرسل وصفتهم بالتوغل في نفاقهم ومرونتهم عليه وأن ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحل كما قال : " ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه " الأنعام : 28 وقد اختلف العلماء في كذبهم في الآخرة والقرآن ناطق بثباته نطقا مكشوفاً . كما ترى في هذه الآية وفي قوله تعالى : " والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون " الأنعام : 23 - 24 ونحو حسابناهم أنهم على شيء من النفع إذا حلفوا استنظارهم المؤمنين ليقتبسوا من نورهم لحساب أن الإيمان الظاهر مما ينفعهم . وقيل : عند ذلك : يختم على أفواههم " ألا إنهم هم الكاذبون " يعني أنهم الغاية التي لا مطمح وراءها في قول الكذب حيث استوت حالهم فيه في الدنيا والآخرة " استحوذ عليهم " استولى عليهم من حاذ الحمار العانة إلا جمعها وساقها غالبا لها . كان أحوزيا نسيج وحده وهو أحد ما جاء على الأصل نحو : استصوب واستنوق أي : ملكهم " الشيطان " لطاعتهم له في كل ما يريده منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه " فأنساهم " أن

يذكروا اﻻ أصلا لا بقلوبهم ولا بألسنتهم . قال أبو عبدة : حزب الشيطان جنده .
" إن الذين يحادون اﻻ ورسوله أولئك في الأذلين . " " في الأذلين " في جملة من هو أذل
خلق اﻻ لا ترى أحدا أذل منهم .
" كتب اﻻ لأغلبن أنا ورسلي إن اﻻ قوي عزيز . " " كتب اﻻ " في اللوح " لأغلبن أنا ورسلي
" بالحجة والسيف . أو بأحدهما .
" لا تجد قوما يؤمنون باﻻ واليوم الآخر يوادون من حاد اﻻ ورسوله ولو كانوا آباءهم أو
أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم
جنت تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى اﻻ عنهم ورضوا عنه أولئك حزب اﻻ ألا إن حزب
اﻻ هم المفلحون . "